كلمة شهرية



منارة المسلمين

محمد بن سعيد الأندلسي حفظه الله







كلمة شهرية بعنوان

منارة المسلمين

ربيع الثاني ١٤٤٥ هـ

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي حفظه الله

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَضْحَتْ وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ مَنَارَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَهِدَايَةً لِلْحَيَارَى وَالْغَافِلِينَ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا لِلسَّالِكِينَ؛ فَقَدْ بَيَّنَتْ أُصُولَ دَعْوَةِ الْحَقِّ بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَقَمَعَتْ فُلُولَ الشُّبَهِ وَدَحَضْتُهَا بِالشُّهُبِ الْمَاحِقَةِ، وَصَحَّحْتُ لِلْكَثِيرِ مِنَ التَّائِهِينَ الْمَفَاهِيمَ الْمَغْلُوطَةَ وَخَلَّصْتُهَا مِنْ شَوَائِبِ الْبِدَعِ الْكَاسِدَةِ... وَكُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ، ثُمَّ بِجُهُودِ أَهْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهَا، وَسَوَاعِدِ جُنُودِ الْخَفَاءِ فِيهَا، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِكُلِّ جُهُودِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ لِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ تَعَالَى وَتَحَمُّلِ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ فِي زَمَنٍ تَخَاذَلَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ... وَلَقَدْ مَنَّ اللهُ ﷻ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الصَّرْحِ الَّذِي شَيَّدَ مَكْتَبَةً قَدْ دَوَّنَتْ أَهَمَّ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُسْلِمُ مِنْ مَسَائِلِ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَتَنْزِيلَاتِهِ، عَبْرَ الْفَتَاوَى وَالرَّسَائِلِ وَالْكُتُبِ وَالصَّوْتِيَّاتِ وَالشُّرُوحَاتِ وَالرُّدُودِ عَلَى الشُّبُهَاتِ، وَبَيَانِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ مَكْتُوبًا وَمَسْمُوعًا وَللهِ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا... وَالْقِيَامُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ وَسَطَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ الْآسِنَةِ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ عَلَى طُغْيَانِ الْعَيِّنَاتِ الْفِطْرِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ لِتَرْوِيضِ طُفَيْلِيَّاتِ الْكَمُوجِ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهَا صَوْتًا فَوْقَ صَوْتِ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ... لَقَدْ فَضَحَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُبَارَكَةُ رُؤُوسَ الْجَهْلِ وَطَحَالِبَ الْهَوَى هُنَا وَهُنَاكَ، وَأَظْهَرَتْ عَوَارَهُمْ وَكَشَفَتْ سَوْأَتَهُمْ، وَبَيَّنَتْ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ وَتَلْبِيسِهِمْ فِي دِينِ اللهِ، فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالتَّأْصِيلِ الْمَتِينِ وَسُلْطَانِ الْحَقِّ الْمُنِيرِ يَرَوْنَ بِنُورِ الْعِلْمِ؛ فَلَا صَوْتَ يَعْلُو عَلَى صَوْتِ الْآثَارِ، وَلَا فَهْمَ إِلَّا فَهْمَ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ، فَوَقَفُوا جَلِيًّا عَلَى تَخْبِيصِ الْجَاهِلِينَ، وَدَعَاوَى الْمُفْلِسِينَ، وَعَجْنِ الْمُفْسِدِينَ،

فَانْفَضَّ الصَّادِقُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَفْرَادًا مُتَنَاثِرَةً قَدْ فَتَّتَ الْحِقْدُ أَكْبَادَهَا، اِجْتَمَعَتْ عَلَى الْإِسْقَاطِ قَدْ جَمَعَهُمُ الْهَوَى وَمُخَالَفَةُ الْحَقِّ وَالْحِقْدُ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَتَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى مَا اجْتَمَعُوا إِلَّا لِإِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، قَالَ قَتَادَةُ: "تَجِدُ أَهْلَ الْبَاطِلِ مُخْتَلِفَةً شَهَادَتُهُمْ، مُخْتَلِفَةً أَهْوَاؤُهُمْ، مُخْتَلِفَةً أَعْمَالُهُمْ، وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي عَدَاوَةِ أَهْلِ الْحَقِّ"[١]... **فَمَا أَفْلَحَ إِلَّا صَادِقٌ، وَمَا ارْتَفَعَ إِلَّا مُخْلِصٌ**، وَطَرِيقُ الشُّوَّاذِ وَمَرْضَى الْقُلُوبِ إِلَى الضَّيَاعِ، وَسَبِيلُهُمْ إِلَى الشَّتَاتِ وَالزَّوَالِ، وَغَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ مُجَرَّدُ لَفْظٍ بِاللِّسَانِ ثُمَّ يَعِيشُ الْمَرْءُ لِدُنْيَاهُ كَمَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ لِشَهَوَاتِهَا، وَإِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْبَهِيمِيَّةَ تَحْتَ مُسَمَّى الْإِسْلَامِ بِأَخْلَاقِ الْجَاهِلِيِّينَ تَجُرُّ الْوَيْلَاتَ عَلَى دِينِ الْمَرْءِ، وَيُؤْتَى الْإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِهِ وَيُفْسِدُ فِيهِ مَا لَا يُفْسِدُهُ الْأَعْدَاءُ مُجْتَمِعِينَ، وَيَعُودُ عَلَيْهِ بِالطُّعُونِ وَالْمَثَالِبِ بَلْ يَرَى النَّاسُ الْإِسْلَامَ مِنْ صُورَةِ ثَوْبِهِ الْمُدَنَّسِ... وَإِنْ كَانَ إِفْسَادُ هَذَا الْمُنْتَسِبِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ لِكَوْنِهِ يُمَثِّلُ الدِّينَ الْحَقَّ وَمَحَطَّ الْأَنْظَارِ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْهِمَمِ، فَإِنَّ أَعْظَمَ الْبَلَاءِ عَلَى دِينِ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَتَصَدَّرَ الْأَغْمَارُ بِلَا عِلْمٍ وَلَا حِلْمٍ وَلَا صَبْرٍ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ، وَهَذَا مِنَ الْخِذْلَانِ الَّذِي نَعِيشُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، فَإِنَّ التَّصَدُّرَ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ قَدْ يَرَاهُ بَعْضُهُمْ فِي الْبِدَايَةِ بَابًا لِلدَّعْوَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَيَحْمِلُهُمْ حَمَاسُ الشَّبَابِ لِذَلِكَ فَيُخَرْبِشُ الْغِرُّ بَعْضَ الْمَنَاشِيرِ الْمُنَمَّقَةِ الَّتِي تَلْقَى رَوَاجًا هُنَا وَهُنَاكَ... وَمَعَ الْوَقْتِ يُعْجِبُهُ ثَوْبُ الشَّيْخِ وَجِلْبَابُ الدَّاعِيَةِ ثُمَّ مَا يَلْبَثُ أَنْ يُقْحِمَ نَفْسَهُ إِقْحَامًا فِي مَا لَا يُحْسِنُهُ

---

[١] تفسير الطبري = جامع البيان - ط دار التربية والتراث (٢٣/٢٩٢)

وَيَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ فُنُونِهِ؛ لِأَنَّ الْمُتَابِعِينَ يَنْتَظِرُونَ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتِلْكَ النَّازِلَةِ، وَيُطَالِبُونَهُ بِالْفَصْلِ فِي ذَلِكَ الْأَصْلِ، وَلَا يَمْلِكُ أَنْ يَقُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ: لَا أَدْرِي، فَيَجُرُّونَهُ جَرًّا إِلَى الْخَوْضِ وَالْجَدَلِ وَالْقَوْلِ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهَذِهِ الْجُرْأَةُ فِي الدِّينِ وَمَا يَتْبَعُهُ مِنَ الْجَدَلِ وَالنِّطَاحِ وَالتَّصَدُّرِ وَالتَّنَاقُرِ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَأَهْلِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً عَظِيمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَقْتُ اللهِ عَظِيمٌ لِمَنْ لَبِسَ ثَوْبَ الزُّورِ وَتَقَلَّدَ عِمَامَةَ الشَّيْخِ وَاسْتَحْسَنَ الْجُلُوسَ فِي صُدُورِ الْمَجَالِسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وَصَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»[٢]... إِنَّهُ اسْتِدْرَاجُ الشَّيْطَانِ لِلْجَهَلَةِ بِلِبَاسِ ثَوْبِ الدُّعَاةِ، وَكَمْ رَأَيْنَا فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ مِنَ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ تَنْبُتِ اللِّحْيَةُ فِي وُجُوهِهِمْ يَفْتَحُونَ الْقَنَوَاتِ وَيَتَصَدَّرُونَ لِلْإِفْتَاءِ وَيُخَبِّصُونَ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى بِاسْمِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَهَذَا التَّطَاوُلُ عَلَى الدِّينِ قَدْ أَبْكَى السَّلَفَ الصَّالِحِينَ، كَمَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: "أَخْبَرَنِي رَجُلٌ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَوَجَدَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ وَارْتَاعَ لِبُكَائِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَمُصِيبَةٌ دَخَلَتْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِ اسْتُفْتِيَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَظَهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قَالَ رَبِيعَةُ: وَلَبَعْضُ مَنْ يُفْتِي هَاهُنَا أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ السُّرَّاقِ"[٣]، وَكَمْ مِنَ الْأَغْمَارِ فِي هَذِهِ السَّاحَةِ الْمَلِيئَةِ بِالْجَهَلَةِ الْمُتَصَدِّرِينَ مِمَّنْ يَدَّعِي الِاجْتِهَادَ وَيَرْمِي غَيْرَهُ بِالتَّقْلِيدِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ الْخَطَّ وَالْإِمْلَاءَ وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ

[٢] مسند أحمد - ط الرسالة (٤٢/٢٠٨)

[٣] جامع بيان العلم وفضله (٢/١٢٢٥)

التَّاءِ الْمَبْسُوطَةِ وَالتَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ فِي أُمُورٍ عَظِيمَةٍ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى دُونَ حَيَاءٍ مِنَ اللهِ، بَلْ تَجِدُهُمْ يُعَيِّرُونَ غَيْرَهُمْ بِالتَّقْلِيدِ وَهُمْ أَصْدَقُ مَنْ لَا يَسَعُهُ إِلَّا التَّقْلِيدُ، بَلْ يَجِبُ فِي حَقِّهِمُ التَّقْلِيدُ لِبَلَادَةِ عُقُولِهِمْ وَفَسَادَ نَظَرِهِمْ وَتَحَجُّرَ أَفْهَامِهِمْ... وَكَمْ مِنْ أَهْلِ الشَّوَارِعِ وَالْبَذَاءَةِ وَالسَّفَاهَةِ الَّذِينَ لَمْ يَفْتَحُوا كِتَابًا فِي الْعُلُومِ قَطُّ وَلَمْ يَثْنُوا الرُّكَبَ عِنْدَ أَهْلِهِ قَطُّ، ثُمَّ يَقْفِزُ طَفْرَةَ النَّظَّامِ [٤] فَيُنَصِّبُ نَفْسَهُ نَاقِدًا مِنْ أَهْلِ الْجَرْحِ وَالْإِسْقَاطِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُ قَوْلَهُ ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ»، بِالنِّكَاحِ!! وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ مَنَاطِ الْحَرَامِ وَالِاسْتِحْلَالِ، وَلَوْ أَدْرَكَهُمْ مَنْ كَتَبَ فِي بَابِ الْحَمْقَى وَالْأَغْبِيَاءِ وَتَعَقُّبِ نَوَادِرِهِمْ لَعَقَدَ لَهُمْ فِيهِ فَصْلًا جَامِعًا، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الشِّرْذِمَةُ الْفَاجِرَةُ فِي الْخُصُومَةِ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ، وَأَنَّى لَهُمْ أَنْ يَفْهَمُوا لِسَانَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ فَلَيْسَ لِلْكَمُوجِ عِلَاجٌ إِلَّا دِرَّةُ عُمَرَ مَعَ صَبِيغٍ، وَمِنْهُمْ حِسَابَاتٌ اسْتِخْبَارَاتِيَّةٌ تَسْعَى حَثِيثًا لِلصَّدِّ عَنْ دِينِ اللهِ وَدَعْوَةِ الْحَقِّ وَتَشْوِيهِ أَهْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَلَى طَرِيقَةِ سَلَفِهِمْ أَبِي جَهْلٍ وَالزَّبَانِيَةِ... وَكَيْفَ لِمُسْلِمٍ مُشْفِقٍ عَلَى دِينِهِ يَسْتَقِي مِنْ كَدَرِ هَؤُلَاءِ الْمَرْضَى وَالْحَمْقَى وَالْمُغَفَّلِينَ وَالْجَهَلَةِ وَالْمُتَّهَمِينَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ" [٥]... وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَعِينٍ، أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ فِيمَا أَوْصَى بِهِ صُهَيْبٌ بَنِيهِ، أَنْ قَالَ: يَا بَنِيَّ لَا تَقْبَلُوا الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا مِنْ ثِقَةٍ" [٦]،

---

[٤] وأما طفرته: فهي قوله بالطفرة التي لم يُسْبَق إليها، ومفادها: دعواه أنَّ الجسم قد يكون في المكان الأَوَّل، ثم يصير مِنْه إلى المكان العاشر مِنْ غير المرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر، ومِنْ غير أنْ يصير معدومًا في الأَوَّل ومعادًا في العاشر. وبعبارة أخرى: هي القول بأنَّ الله خَلَقَ هذه الموجودات دُفعة واحدة على ما هي عليه الآن مِنْ نبات وحيوان، وجبال وبحار، ولم يَتَقَدَّم خلقُ آدم على ذريته، غيرَ أنَّ الله أَكْمَلَ بعضها في بعض؛ فالتقدم والتأخر إنَّمَا يقع في ظهور هذه الموجودات في أماكنها دونَ حدوثها ووجودها.

[٥] التمهيد لابن عبد البر - ط المغربية (٤٥/١)

[٦] نفس المصدر

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: "لَا تَأْخُذُوا الْعِلْمَ إِلَّا مَنْ شُهِدَ لَهُ بِالطَّلَبِ" [٧]... وَوَاللهِ وَتَاللهِ إِنَّ الَّذِي يُفْسِدُونَهُ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِهِمْ وَرَدِّهِمْ إِلَى طَبِيعَةِ أَحْجَامِهِمْ وَتَحْذِيرِ النَّاسِ مِنْ بِدَعِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: "وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ مَنْ لَوْ أَمْسَكَ عَنْ بَعْضِ مَا تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْهُ لَكَانَ الْإِمْسَاكُ أَوْلَى بِهِ، وَأَقْرَبَ مِنَ السَّلَامَةِ لَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ" [٨]، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: "وَلَمَّا كَانَ التَّبْلِيغُ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ يَعْتَمِدُ الْعِلْمَ بِمَا يُبَلَّغُ، وَالصِّدْقَ فِيهِ، لَمْ تَصْلُحْ مَرْتَبَةُ التَّبْلِيغِ بِالرِّوَايَةِ وَالْفُتْيَا إِلَّا لِمَنِ اتَّصَفَ بِالْعِلْمِ وَالصِّدْقِ؛ فَيَكُونُ عَالِمًا بِمَا يُبَلِّغُ، صَادِقًا فِيهِ، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ حَسَنَ الطَّرِيقَةِ، مَرْضِيَّ السِّيرَةِ، عَدْلًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، مُتَشَابِهَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فِي مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَإِذَا كَانَ مَنْصِبُ التَّوْقِيعِ عَنْ الْمُلُوكِ بِالْمَحِلِّ الَّذِي لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُ، وَلَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّاتِ، فَكَيْف بِمَنْصِبِ التَّوْقِيعِ عَنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؟ فَحَقِيقٌ بِمَنْ أُقِيمَ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ أَنْ يَعُدَّ لَهُ عِدَّتَهُ، وَأَنْ يَتَأَهَّبَ لَهُ أُهْبَتَهُ، وَأَنْ يَعْلَمَ قَدْرَ الْمَقَامِ الَّذِي أُقِيمَ فِيهِ، وَلَا يَكُونُ فِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالصَّدْعِ بِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَهَادِيهِ، وَكَيْف هُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي تَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ رَبُّ الْأَرْبَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، وَكَفَى بِمَا تَوَلَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ شَرَفًا وَجَلَالَةً؛ إِذْ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ

---

[٧] نفس المصدر

[٨] الرسالة للشافعي (٤١/١)

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وَلِيَعْلَمَ الْمُفْتِي عَمَّنْ يَنُوبُ فِي فَتْوَاهُ، وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ غَدًا وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ" [٩].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ مَنَّ عَلَيْنَا بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ وَهَدَانَا إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ عُمُومِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَهَذَا يَسْتَوْجِبُ مِنَّا الْحَمْدَ الْكَثِيرَ عَلَى مَا أَتَمَّ عَلَيْنَا مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ بِالْجَمَاعَةِ وَالِائْتِلَافِ وَنَهَانَا عَنِ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، فَفِي الْجَمَاعَةِ الرَّحْمَةُ وَالْإِحْسَانُ وَفِي الْفُرْقَةِ الْعَذَابُ وَالْخُسْرَانُ، فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، فعَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: "مَا أَرْمَلَةٌ جَالِسَةٌ عَلَى ذَيْلِهَا بِأَحْوَجَ إِلَى الْجَمَاعَةِ مِنِّي" [١٠]، وَلَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِهَذِهِ الْمَنَارَةِ الشَّامِخَةِ الَّتِي بَيَّنَتْ وَاضِحَ السَّبِيلِ وَأَضَاءَتْ بِسِرَاجِهَا ظُلُمَاتَ الطَّرِيقِ، وَأَحْيَتِ الْأَمَلَ فِي نُفُوسِ الصَّادِقِينَ وَأَحْرَقَتْ قُلُوبَ الْمَرْضَى وَسَفَّهَتْ أَحْلَامَ الشَّانِئِينَ... فَكُونُوا عَوْنًا لِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ، شَارِكُوهُمْ فِي نُصْرَةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ، أُنْشُرُوهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهَا، اِلْتَفُّوا حَوْلَ إِخْوَانِكُمْ وَنَاصِرُوهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ لَكُمْ لِإِقَامَةِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِالنُّصْرَةِ وَتَعَبَّدَكُمْ بِالْوِلَايَةِ، رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» [١١]...كُونُوا لَبِنَاتَ بِنَاءٍ لَا مَعَاوِلَ هَدْمٍ؛ فَإِنَّ الْعِصْمَةَ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَكُلُّ مَنْ يَعْمَلُ لِلدِّينِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَقَعَ مِنْهُ الْخَطَأُ وَالتَّقْصِيرُ وَالتَّعَدِّي،

---

[٩] إعلام المُوَقِّعِين عن رب العالمين - ط العلمية (٨/١)

[١٠] الطبقات الكبرى - ط العلمية (١٠٣/٧)

[١١] مسند أحمد - ط الرسالة (٣٤٦/٢٢)

وَالْمُخْلِصُ مَنْ نَصَحَ وَلَزِمَ الْجَمَاعَةَ الْمُسْلِمَةَ وَكَانَ صَدْرُهُ سَلِيمًا لِإِخْوَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ مَنْ مُلِئَ قَلْبُهُ غِلًّا وَهَوًى حَتَّى فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَشَنَّعَ وَنَاطَحَ وَنَاقَرَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ» [١٢]... وَإِنَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وُجُوبُ نُصْرَةِ إِخْوَانِهِ بِالْكَلِمَةِ وَالدُّعَاءِ، وَبِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ بَذْلٍ وَعَطَاءٍ؛ فَإِنَّ بِنَاءَ صَرْحِ الْمُسْلِمِينَ يَحْتَاجُ إِلَى سَوَاعِدِ أَبْنَائِهِ وَرِجَالِهِ، وَتَعَاضُدِهِمْ وَتَكَاتُفِهِمْ خَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ جَمَاعَةٌ ظَاهِرَةٌ وَلَا كَيَانٌ، وَلَا مَنْ يَصُولُ وَيَجُولُ فِي غَابَةِ الْجَاهِلِيَّةِ النَّكْرَاءِ.

كُلُّ الدَّعَاوَى لَهَا مَنْ يَصُولْ ... ثَبَاتًا عَلَيْهَا فِي كَرْبٍ عَسِيرْ
فِدَاءً لِمَا يَعْتَقِدْ وَيَدِينْ ... وَفَاءً لِرَمْزٍ كَصَبْرِ الْبَعِيرْ
فَيَا حَسْرَتَاهُ عَلَى الْحَقِّ فِي ... زَمَانٍ خَلَا مِنْ جُمُوعٍ تُغِيرْ
فَأَيْنَ الْأُبَاةُ الْغَيَارَى وَمَنْ ... بِنُورِ الْهُدَى قَلبُهُ يَسْتَنِيرْ
فَهَلْ قَدْ رَضِيتَ رُكُونًا إِلَى ... دُنْيَا الْخَنَا وَالْمَتَاعِ الْحَقِيرْ
أَوْ قَدْ تَرَكْتَ ثُغُورَ الرِّجَالْ ... أَرْضَ الْوَغَى أَوْ لَبِسْتَ الْحَرِيرْ
فَمَنْ لَا يَعِيشُ الصِّرَاعَ يَذُوبْ ... فِي هَيجَةِ الْبَحْرِ زَبْدًا يَصِيرْ
أَخِي إِمَّا أَنْ تَلْحَقَ الرَّكْبَ أَوْ ... ضَيَاعًا بِحَرِّ اللَّظَى تَسْتَجِيرْ
أَخَا النَّهْجِ قُمْ إِنَّنَا فِي هَوَانْ ... عَلَانَا الصَّغَارُ وَسَوْطُ الْوَزِيرْ
أَخَا النَّهْجِ أَنْتَ شُعَاعُ الْأَمَلْ ... تُعِيدُ النِّزَالَ كَغَيْثٍ غَزِيرْ

---

[١٢] مسند أحمد - ط الرسالة (٢١/٦٠)

أخَـا الـنَّهجِ إنَّ الحِيَّـاضَ اسْـتُبِيحْ فَــلَا صَــوْلَةً عِنْــدَنَا أَوْ قَفِيــرْ
أَخِــي إِنَّنَــا الْيَــوْمَ مِثْــلُ الْعَبِيــدْ فَــلَا شَــوْكَةً عِنْــدَنَا أَوْ زَئِيــرْ
أَخِــي قُــمْ نُعِيــدُ بِنَــاءَ الْكَيَــانْ عَلَــى لِبْنَــةِ الْحَــقِّ صَـرْحًا يَصِـيرْ
فَهَــلْ قَــدْ تُــرَاكَ تَرَكْــتَ السَّــبِيلْ وَأَلْقَيْــتَ عَــنْ سَــاعِدَيْكَ النَّفِيــرْ
فَمَــنْ لِلْعَطَــاءِ يُجِيــبُ وَمَــنْ يُلَبِّــي دُعَــاءَ الْغَرِيــبِ الْأَسِــيرْ
فَلَسْــتَ الَّــذِي يَنْحَنِــي لِلْعِــدَا وَيَرْضَــى الـدَّنَا مِـنْ وَضِـيعٍ حَقِيـرْ
فَمَــنْ أُشْــرِبَ الْعِــزَّ يَوْمًــا فَــلَا يُطِيــقُ الْهَــوَانَ وَذُلًّا مَرِيــرْ
سِــرَاجُ الطَّرِيــقِ يُنِيــرُ السَّــبِيلْ يَسُــوقُ الْخُطَــى نَحْــوَ عِــزٍّ كَبِيــرْ

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

